

## عربيات دوليات

### استقبال حافل لهنيئة في القاهرة

وصل إلى القاهرة أمس، آتياً من تونس، رئيس الحكومة الفلسطينية المقالة إسماعيل هنية (الصورة) على رأس وفد كبير من أعضاء حركة المقاومة



الإسلامية (حماس). واحتشد عشرات الشباب أمام مطار القاهرة لاستقبال هنية رافعين صورته وصور المسجد الأقصى والعلمين المصري والفلسطيني، مرددين هتافاً: «يا هنية يا هنية أوعى تسبب البندقية».

(يو بي أي)

### عباس يعتذر عن عدم زيارة تونس

أعلن وزير الخارجية الفلسطيني، رياض المالكي، أمس، أن الرئيس محمود عباس، اعتذر عن عدم تلبية دعوة رسمية لزيارة تونس للمشاركة في احتفالات مرور عام على الثورة التونسية بسبب «التزاماته الأخرى». وقال المالكي للإذاعة الفلسطينية الرسمية، إن عباس سيقوم بجولة رسمية تشمل كلاً من بريطانيا وألمانيا وروسيا تبدأ في الثالث عشر من الشهر الجاري، وسيلتقي عباس خلالها كبار المسؤولين في البلدان الثلاثة، يبحث في خلالها تطورات عملية السلام وجهود استئناف محادثات السلام مع إسرائيل إلى جانب الملف الفلسطيني لنيل عضوية كاملة لدى الأمم المتحدة.

(يو بي أي)

### الملك السعودي يلتقي باسندوة

التقى الملك السعودي عبد الله، رئيس الوزراء اليمني محمد سالم باسندوة، الذي وصل على رأس وفد وزاري كبير إلى الرياض أمس في زيارة تدوم يومين. وذكرت وكالة الأنباء السعودية الرسمية (واس) مساء أمس الاثنين أن الملك بحث مع باسندوة «الأوضاع الراهنة في اليمن، إضافة إلى آفاق التعاون بين البلدين وسبل دعمها وتعزيزها في جميع المجالات».

وتأتي زيارة رئيس الوزراء في حكومة الوفاق الوطني اليمنية إلى المملكة ضمن جولته الخليجية في محاولة للحصول على 5 مليارات دولار كمساعدات عاجلة يحتاج إليها اليمن، حسبما ذكرت مواقع الإنترنت اليمنية. من جهة ثانية، ثار جدل حاد في البرلمان اليمني أمس، بشأن إقرار قانون يمنح الرئيس علي عبد الله صالح وأركان حكمه الحصانة من الملاحقة القضائية، الذي أحالته الحكومة على البرلمان أول من أمس للتصديق عليه.

(يو بي أي)

المسلحة شبه العسكرية التي عُرفت باسم «الصحوات»، والتي نجحت في قصف ظهر تنظيم «القاعدة»، في مقابل حصّة من كعكة الحكم العراقية.

#### اليد الطولى!

كل ذلك لم يحل دون إخفاء الواقع، حيث بدا جلياً أن الدفة في العراق كانت تميل لمصلحة الإيرانيين. نحو سبع سنوات من الاحتلال، سيطر في معظمها حلفاء إيران على مجريات العملية السياسية، وإن في إطار ما سمي «التعاون مع سلطة الاحتلال الأميركية». تُرجم هذا في انتخابات 2010، حيث تبين أن السنة حشدوا طاقاتهم كلها في محاولة لإعادة التوازن إلى المعادلة السياسية الداخلية، بدعم علني من واشنطن والرياض وأنقرة. عبّرت القائمة «العراقية» عن هذا التحالف الذي استهدف أساساً وضع حد للنفوذ الإيراني في العراق. أشهر من الأزمات السياسية لم تنته فصولها بعد، بدأت بتحديد الكتلة البرلمانية الأكبر والمخولة بتسمية رئيس الحكومة وتأييد الحكومة. نتيجتها كانت معبرة عن نفسها: التحالف الوطني نجح في التجديد للمالكي، الذي ظهر علناً في الأسابيع الأخيرة ميله الواضح إلى المعسكر الإيراني، في مقابل قائمة «عراقية» قطعت أوصالها ورضيت بما ارتضته لها طهران وحلفاؤها العراقيون، إن من ناحية توزيع المناصب، أو من ناحية الصلاحيات وجدول الأعمال.

#### ما بعد الانسحاب

مرت الأسابيع والشهور، واقترب الموعد المحدد بحسب الاتفاقية الأمنية للانسحاب الأميركي الكامل. استحقاق حرص الأميركيون على بذل الجهود لتجاوزهم مع الاحتفاظ بأكبر قدر من المكاسب، فيما جهد الإيرانيون للعمل على عبوره بسلاسة متناهية، وعلى ضمان الاستقرار وضبط الصراعات كي لا يُعطى المحتل الأميركي فرصة استغلال أي خطأ للتعميد. وكلما اقتربت نهاية عام 2011، كان يتضح أن المحتل الأميركي أعجز عن مقاومة المصير المحتم، إلى أن بلغ به المطاف إلى أن يجاهد لحفظ ماء وجهه. لم يتمكن من حجب ملامحه الحزينة، وإن أخرج قواته بلا صورة واحدة، خلافاً لضوضاء دخوله العراق. كان الانسحاب ثمرة انكسار للمشروع الأميركي على المستوى الإقليمي، أدت فيه مجموعة من أزمات المنطقة دوراً أساسياً. لكن حصوله بالنعو الذي تم عليه، أوجد له كينونة مستقلة، من حيث الحثثيات والخلاصات التي بني عليها واقع جديد، بدأت ارهاصاته الأولى تتجلى في مضيق هرمز وما بعد بعد هرمز.

وفي حادث منفصل آخر، اغتال مسلحون مجهولون فاطمة عتيك، مديرة أحد فروع المصرف التجاري العراقي، وزوجها داخل منزلهما في شارع العطار الواقع في منطقة الكرادة (وسط). وفي كركوك، قال مصدر في الشرطة إن «أثنين من قوات الأمن الكردية (الاسابيش) قتلوا وأصيب مثلهما بجروح في هجوم مسلح وقع في حي الواسطي (جنوب)». وفي الفلوجة، قتل جندي وأصيب ثلاثة آخرين بجروح بانفجار عبوة ناسفة في انفجار استهدف دورينهم في منطقة المزعة.

(الأخبار، أ ف ب، يو بي أي)

في هذه المرحلة، كانت إيران مستفيدة من بقاء الأميركيين في العراق. لم تكن تمتلك بعد المفاتيح الضرورية ولا أدوات السيطرة. كانت بحاجة إلى المحتل الأميركي ليفرض الأمن، فيما كانت هي تبني التنظيمات، السياسية للمشاركة للمشاركة في أعمال المقاومة. في هذه المرحلة، تورط السيد مقتدى الصدر في معركته مع قوات الاحتلال التي حوصرت في نهايتها في مقام الإمام علي في النجف. ويقول البعض إنه «لولا وجود ضابط إيراني رفيع المستوى كان يرفقته داخل المقام لما نجا الصدر من هذه المحنة».

#### تقاسم النفوذ

مع انتخابات عام 2005، بدأ الحديث عن مرحلة «شراكة أميركية إيرانية» في العراق. أو بنحو أدق مرحلة «تقاسم نفوذ بحكم الأمر الواقع»، لا وفق اتفاق مباشر أكان أم غير مباشر. لعل التعبير الأبرز عما حصل، الطريقة التي ولدت فيها الحكومة الأولى لنوري المالكي، والطريقة التي وصفت فيها سياسته في خلالها. وقتها كانت الحكومة الانتقالية لإبراهيم الجعفري قد انتهت مهمتها، ودخلت الكتلة الشيعية في صراع في ما بينها بين مطالب بالتجديد للجعفري، الذي كان يدعمه الإيرانيون، وبين مناصر لعادل عبد المهدي المدعوم أميركياً، فكانت التسوية بان جيء بالمالكي الذي وصف عهده، في ولايته الأولى، حيث اعتمد سياسة «العراق أولاً»، بأنه «يضع رجالاً في طهران وأخرى في واشنطن»، وأنه بنى سمعته على رفضه تدخل أي من الطرفين في الشؤون الداخلية العراقية.

في هذه المرحلة، شهد العراق حرب التطهير المذهبي في أعقاب تفجير مرقد الإمامين العسكريين في سامراء، وبدأ المحتل الأميركي يدرك أنه أخطأ في الرهان على الحصان الشيعي وتهميش الحليف السنّي التقليدي، في ظل سجال أميركي، قاده السفير الجديد لدى بغداد زلمي خليل زادة، وصل إلى نتيجة بأن التحالف مع شعبة العراق إنما هو تكتيكي وليس استراتيجياً، وأنهم سيرفعون السلاح في وجه الولايات المتحدة عند أول صدام أميركي إيراني. بدأ المشهد يتضح لدى قادة الاحتلال، الذين أخذوا يلمسون الخطأ الاستراتيجي الذي بدا في إسقاط صدام، الضلع الثاني في سياسة الاحتواء المزدوج مع إيران، واستكمل بحل الجيش. رؤية زادة كانت أن الوضع إذا استمر على هذا المنوال فإن العراق سيكون رهينة بيد إيران، من هنا، باشر بالتقرب من السنة الذين قاطعوا انتخابات 2005، ورعى إنشاء التنظيمات

كل القدرات الموجودة في باقي دول المنطقة». ميدانياً، قُتل جندي عراقي وأصيب 3 آخرون بجروح بانفجار عبوة ناسفة بدورينهم شرق مدينة الفلوجة، ثانية كبرى مدن محافظة الأنبار غربي بغداد. كذلك أعلنت مصادر أمنية مقتل ستة أشخاص، بينهم سيدة وأحد الزوار الشيعية، وإصابة 14 آخرين بينهم تسعة زوار، في هجمات منفردة في العراق. وقال مصدر في وزارة الداخلية إن «انفجار عبوة ناسفة عند منطقة عويريج أدى إلى مقتل أحد الزوار وإصابة حوالي 10 آخرين بجروح».

## خامنئي والمقاومة

ربما كانت خطبة الإمام علي خامنئي في 11 نيسان 2003، أي بعد يومين على سقوط بغداد، خير معبر عن مقاربة إيران لاحتلال العراق. تحدث عن 4 قضايا:

- 1- إسقاط صدام حسين. رأى أن «سرور الشعب الإيراني هو كسرور الشعب العراقي»، لكن «لا علاقة للسرور بزوال صدام، بمجيء المحتلين... الشعب العراقي كان حياً في هذه الحرب، وقد أعلنت الحكومة الإيرانية حيادها. ومعنى الحياد هو أن كلتا الجبهتين، جبهة صدام وجبهة الغزاة ظالمة».
- 2- المآسي التي تعرض لها الشعب العراقي. قال: «نحن ندينها بشدة... وندين المعتدي ونعده كاذباً إن هو ادعى الدفاع عن حقوق الإنسان».
- 3- تعرض بلد مستقل لعدوان وغزو عسكري. قال إن «الحلم الذي يحلم به الأميركيان والإنكليز لن يتحقق؛ ذلك أنه في كل مكان تقف المقاومة ولغتها وأسلوبها بوجه الاعتداء ولغتها وسلوكها، ولن يكون الشعب العراقي المعروف بغيرته وحميته مستثنى من هذه القاعدة».
- 4- إدارة العراق في المستقبل التي «ينسجون الأدوار والمخططات والأوهام في أدمغتهم من أجلها».

حظ الإيرانيين، كان مع المنحدرين من مدينة النجف التي يرى أهلها أن الدنيا بدأت عندهم وتنتهي عندهم: قبر النبي آدم موجود في مدينتهم التي ستكون عاصمة دولة الإمام المهدي المنتظر، بحسب المعتقدات الشيعية.

#### تثبيت الأقدام

سعت إيران، في السنوات الأولى التي تلت الغزو إلى تثبيت أقدامها في العراق. انفتحت على الجميع. جزء من القيادات الشيعية كان في ضيافتها سنوات طوياً، وجزء آخر أتى من سوريا وبلاد الإغتراب والأكراد علاقتها بهم قديمة، وخاصة جلال الطالباني، ولطالما ساعدتهم في مفترقات حساسة وهم يدركون أنهم لا يستطيعون معاداتها. فضلاً عن أن الأكراد لا يزالون يحملون فضل السيد محسن الحكيم الذي أفتى، في أوج حملة النظام على الأكراد، أن قتلهم لا يجوز شرعاً. حتى السنة، وبينهم التنظيمات المسلحة التي رفعت السلاح في وجه الأميركيين، لم تفرهم وقدمت لهم ولساستهم الدعم كلما طلبوه.



السياسية كان سيعطي الأميركيين فرصة تركيب نظام جديد على هواهم، ما يجعل المهمة مزدوجة: مقاومة المحتل الأميركي لإخراجه، ومن ثم فتح معركة ثانية مع النظام للسيطرة عليه أو تقويضه. بناءً على ذلك، عمل الإيرانيون على توزيع الأدوار داخل الصف الشيعي العراقي. وتوزيع الأدوار هنا لم يكن يعني إصدار أوامر وتوزيع تكليفات بقدر ما كان استماعاً معمقاً إلى كل الأفرقاء، وقد كانت مواقفهم متباينة. من أراد المقاومة، شجعه الإيرانيون على ذلك وأعطوه كل أنواع الدعم. ومن أراد المشاركة في العملية السياسية، شجعه على ذلك، وأيضاً قدموا له كل أنواع الدعم.

ولا بد من التأكيد هنا أن شعبة العراق ليسوا مطواعين، والتعامل معهم صعب جداً، إلى حد ذهب القيادي الإيراني المكلف ملف العراق ذات مرة إلى السيد خامنئي يطلب منه إعفاءه من المسؤولية قائلاً له: «لقد ملأوا قلبي قيحاً وشحنوا قلبي غيظاً»، في استعادة لعبارة شهيرة للإمام علي بن أبي طالب. والتعامل الأكثر صعوبة مع قادة العراق، ولسوء



في هذه الأثناء، أعلن رئيس مركز الدراسات الدفاعية في القوات المسلحة، علي شمخاني، أن لدى بلاده القدرات اللازمة لتدريب القوات العراقية إذا ما طلبت الحكومة العراقية ذلك. ونقلت وكالة أنباء «مهر» الإيرانية عن شمخاني قوله عن استعداد إيران لتدريب القوات المسلحة العراقية، إن «الجهات التي زوّدت العراق بالأسلحة هي المسؤولة عن تدريب هذه القوات، ولكن إيران أيضاً لديها القدرات اللازمة للقيام بهذه المهمة، شرط أن تطلب الحكومة العراقية منها القيام بذلك». وأضاف أن «القدرات العسكرية الموجودة لدى طهران تفوق